مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد:26 عدد:3 (رت 65) السنة:2022

ملامح التعليم الجامع من خلال الهدي النبوي

Features of Inclusive Education through the Prophet's Muhammad Guidance

د. أمجد عزات جمعة[1]
جامعة الشرقية، سلطنة عمان
Amjad.joma@asu.edu.om

د.سعيد بن مسلم الراشدي
جامعة الشرقية، سلطنة عمان
said.alrashidi@asu.edu.om

د.محمد بن خلفان الصقري
جامعة الشرقية، سلطنة عمان
mohammed.alsaqri@asu.edu.om

تاريخ الوصول 2021/11/13 القبول 2022/02/22 النشر على الخط 2022/04/15
Received 13/1/2021 Accepted 22/02/2022 Published online 15/04/2022

ملخص:

هدفت الدراسة إلى إلقاء الضوء حول ملامح التعليم الجامع من خلال هدي الرسول –صلى الله عليه وسلم–، خاصة أن الرسول الكريم في بداية دعوته أسس مدرسة ربانية، هذه المدرسة تتلمذ فيها ثلة من الصحابة –رضوان الله عليهم–، فانطلقت تلك الثلة تنشر العلم وتنهج في تدريسها وتعليمها الناس منهج رسولهم محمد –صلى الله عليه وسلم–، ولتحقيق أغراض الدراسة اتبع الباحثون المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت الدراسة البحثية إلى النتائج التالية: لقد ثبت من هدي الرسول –صلى الله عليه وسلم– أنه كان شخصية جامعة وشاملة لجميع نواحي الحياة التربوية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، واستخدم طرق وأساليب جاذبة بعيدة كل البعد عن الاقصاء والتهميش لأي فرد من أفراد المجتمع. وكذلك اهتم الرسول –صلى الله عليه وسلم– بالتعليم للجميع بغض النظر عن الجنس، أو اللون، أو القدرات، أو الظروف، أو الخلفية التي ينتمي إليها الأفراد. هذا واستخدم الرسول –صلى الله عليه وسلم– استراتيجيات وأساليب تربوية تتماشي والتنوع الموجود في المجتمع، كما وراعى الفروق الفردية الموجودة عند المتعلمين من صحابته.

الكلمات المفتاحية: التعليم الجامع ، الهدي النبوي.

Abstract:

The study aimed to highlight the features of inclusive education in prophet Muhammad's guidance and approach (peace be upon him), To the objectives of the study, researchers used the descriptive-analytical approach. The results showed that prophet Mohammed has an inclusive and comprehensive approach on all aspects: educational, social, political, and economic; without any exclusion and marginalization of any member of society. Prophet Muhammad's (peace be upon him) was concerned with education for all people, regardless of their gender, color, abilities, circumstances, or social background. Also, he used wide strategies and educational methods that related to the diversity of society and he took into account the individual differences that existed among the educated of his companions.

***Keywords*:** Inclusive Education, Prophet Muhammad Guidance.

[1]– المؤلّف المراسل: **أمجد عزات جمعة** البريد الإلكتروني: **amjad.joma@asu.edu.om**

1. مقدمة :

يتزايد الاهتمام في السنوات الأخيرة بالتعليم بشكل عام والتعليم الجامع بشكل خاص من حيث المفهوم والممارسات على اعتبار أن التعليم الجامع يمثل عمليات الإصلاح للعملية التعليمية في الدول النامية والمتقدمة، وكاستراتيجية أساسية للتعامل مع مصادر الإقصاء والتهميش والاستبعاد. والتعليم الجامع عملية تدعم التنوع بين جميع المتعلمين، غايتها تحويل المدارس وسائر مراكز التعلم إلى أماكن تقدم خدماتها إلى جميع الأفراد كافة، وكذلك سعيها الحثيث إلى تحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية وتوفير تعليم ذي جودة عالية للجميع بغض النظر عن خلفياتهم الثقافية وقدراتهم العقلية ونوعهم الاجتماعي ونوع الإعاقة وظروفهم الاقتصادية والاجتماعية والصحية والنفسية التي يعيشونها.

هذا ويستند التعليم الجامع إلى الإعلان العالمي الخاص بالتعليم للجميع الذي اعتمد في مدينة جومتين بتايلاند (1990) أن من حق جميع الأطفال واليافعين والراشدين الانتفاع بالتعليم بدون تمييز أو استبعاد. حيث إن تبني فلسفة التعليم الجامع " التعليم للجميع" تعتبر من القضايا الأساسية التي تساعد المجتمعات في القضاء على التهميش والاستبعاد القائم على العرق أو اللون أو الجنس أو الدين، وكذلك تعزيز التنوع العرقي والاجتماعي، بالإضافة إلى كون التعليم الجامع أحد المقومات الأساسية للتعلم مدى الحياة وذلك من خلال تحسين العملية التعليمية التعلمية وتقديم خدمة تعليمية تتسم بجودة عالية، وملبية لاحتياجات المتعلم وحاله ومستواه، واستخدام أساليب واستراتيجيات تدريسية تساعد في تعليم الأطفال الذين هم في سن التعليم الأساسي (من الصف الأول وحتى العاشر) وغير الملتحقين بالمدارس والبالغ عددهم 75 مليون طفل في العالم، وإلى الراشدين الذين يفتقرون إلى المهارات الأساسية في القراءة والبالغ عددهم 774 مليون راشد، بالإضافة إلى الأعداد الكبيرة الملتحقة بالمدارس ولكنهم لا يحصلون على تعليم جيد (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة – اليونسكو،2008).

مشكلة الدراسة وأسئلتها :

عند الرجوع إلى كتب السنة والسيرة النبوية نجد أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– قد ربى جيلاً قرآنياً فريداً، وسلك في سبيل ذلك أساليب ووسائل متعددة، فاستخدم أسلوب الحوار، والموعظة، والقدوة، والقصة وضرب المثل، والترغيب والترهيب، كما استخدم وسائل التربية بالعقيدة، والتربية بالعبادة، والتربية بالعقوبة، والتربية الخلقية، والتربية بالسياسة، والشورى وكل هذه الأساليب والاستراتيجات جاءت منسجمة مع فلسفة وسياسة التعليم الجامع والصديق.

من خلال ما تقدم تتحدد مشكلة الدراسة بالتساؤلات التالية :–

1. ما المقصود بالتعليم الجامع؟
2. ما مبررات التعليم الجامع؟
3. ما أهداف التعليم الجامع.
4. ما أبرز معيقات تطبيق فلسفة التعليم الجامع؟
5. ما ملامح التعليم الجامع من خلال الهدي النبوي الرسول صلى الله عليه وسلم ؟
6. ما الأساليب النبوية الجامعة في التربية والتعليم ؟
7. ما الاستراتيجيات النبوية التربوية التي تجعل بيئة التعليم والتعلم جامعة وحافزة على التعلم؟

2. التعليم الجامع

1.2. ماهية التعليم الجامع:

يعد مصطلح التعليم الجامع من المصطلحات المعاصرة المرتبطة بإصلاح التعليم، ويقوم على فرضية مفادها أن المدرسة الشاملة الجامعة تقدم الرعاية والتعليم لجميع الأطفال والشباب، بغض النظر عن اختلافهم في الثقافة، الجنس، اللغة، القدرات، الطبقات الاجتماعية.

ويتمحور التعليم الجامع حول الطفل والبيئة التعليمية الصديقة للطفل، ويقوم التعليم الجامع على حقيقة أن كل متعلمٍ يختلف عن غيره من المتعلمين ولديه نقاط قوة واحتياجات مختلفة خاصة به. فلربما يحتاج طفل إلى مساعدة خاصة في مبحث ما ويكون متميزاً في مبحث آخر. ولربما يحتاج طفل يعاني من إعاقة بدنية مساعدة ليتمكن من دخول الفصل ولكنه يظهر تفوقا في دراسة اللغة العربية. ومن المحتمل أن لا يتمكن بعض الأطفال من الحصول على درجات مرتفعة ولكنهم يستطيعون أن يصبحوا فنانين مميزين أو لاعبي رياضة محترفين أو أن يساهموا بفعالية لرفعة مدرستهم و مجتمعها (المجلس النرويجي للاجئين1، 2013).

وتعرف منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة- اليونسكو (2005) التعليم الجامع بأنه عملية الاستجابة للتنوع في احتياجات جميع المتعلمين الأطفال واليافعين والراشدين والعمل على تلبيتها من خلال زيادة المشاركة في التعلم والاندماج في السياق الثقافي والاجتماعي، وكذلك الحد من ظاهرة الاستبعاد في التعليم ومن التعلم. أما وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الأنروا (2012) فتعرف التعليم الجامع بأنه النهج الذي تتبعه لضمان حصول جميع الأطفال اللاجئين الفلسطينيين على فرص متكافئة للتعلم في مدارسها وحصولهم على الدعم الكافي لبلوغهم كامل طاقاتهم، بغض النظر عن النوع الاجتماعي والقدرات والإعاقة والحالة الصحية والاجتماعية والاقتصادية والاحتياجات النفسية. أما مهنا (2018) يرى أن التعليم الجامع هو الذي يقبل جميع الطلبة بغض النظر عن الفروقات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، ويسعى لتوفير فرص متساوية لهم من خلال حصولهم على تعليم ذات جودة عالية.

بينما يرى أوبرتي (2004) أن التعليم الجامع يضم أربعة عناصر أساسية:

1) يعتبر في الأساس عملية بحث عن أنسب الطرق التي يمكن من خلالها الاستجابة للتنوع إلى جانب محاولة التعرف على كيفية التعلم من الاختلافات والتباينات.

2) يرتبط باستخدام استراتيجيات متعددة لإثارة الإبداع لدي الطلاب وقدرتهم على التعامل مع المشكلات وحلها.

3) يتضمن حق الطفل في الالتحاق بالمدرسة، والتعبير عن رأيه، والحصول على خبرات تعليمية جيدة والحصول على نتائج تعليمية قيمة.

4) يتضمن المسؤولية الأخلاقية التي تدفع إلى إعطاء الأولوية إلى الأطفال الذين يتعرضون لخطر التهميش والإقصاء عن المدرسة، إلى جانب الأطفال الذين يحصلون على نتائج تعليمية منخفضة.

من خلال ما تقدم يعرف الباحثون التعليم الجامع: بأنه هو النهج الذي يقوم على تقديم خدمات تعليمية تتسم بجودة عالية لجميع الأطفال في مرحلة التعليم الأساسي وكذلك غير الملتحقين بالتعليم بدون استثناء، وبغض النظر عن الجنس والعرق واللون والإعاقة والظروف الاقتصادية، أو الاجتماعية، أو الصحية، أو السياسية التي تواجههم، مع ضمان تلبية احتياجاتهم المختلفة وإكسابهم المهارات اللازمة للحياة.

2.2 مسوغات ومبررات التعليم الجامع

هناك العديد من المبررات حول تطبيق فلسفة التعليم الجامع في المدارس المختلفة، حيث تؤكد منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة- اليونسكو (2005) على وجود عدة مسوغات للتعليم الجامع منها التعليمي والاجتماعي والاقتصادي، ويضيف الباحثون لهذه المسوغات المسوغ الديني:

1- المسوغ التعليمي: إن مطالبة المدارس باستيعاب جميع الأطفال يعني أنه يتعين عليها استحداث وتطوير أساليب وطرق تدريس واستراتيجيات تعليمية حافزة للتعلم وتستجيب للاختلافات بين الأفراد ويستفيد منها جميع الطلاب على اختلاف قدراتهم وإمكاناتهم.

2- المسوغ الاجتماعي: إن المدارس الجامعة قادرة على تغيير المواقف والاتجاهات السلبية نحو التنوع عن طريق تعليم جميع الأطفال معاً، ومن ثم وضع الأسس لبناء مجتمع عادل يستوعب كل شرائح المجتمع غير قائم على التمييز والتهميش لفئات المجتمع.

3- المسوغ الاقتصادي: إنشاء وصيانة مدارس تقدم التعليم لجميع الأطفال يعتبر أقل تكلفة من إقامة شبكة معقدة من المدارس التي تختص بمجموعات مختلفة من الأطفال، على سبيل المثال مدرسة خاصة بالأشخاص ذوي الإعاقة العقلية البسيطة، ومدرسة أخرى خاصة بالأشخاص ذوي الإعاقة الحركية، وأخرى لذوي الإعاقة السمعية وهكذا.

وهنا يضيف الباحثون مسوغاً رابعاً جامعاً مانعاً للمسوغات السابقة وهو المسوغ الديني:

4- **المسوغ الديني:** لقد أقام الإسلام المجتمع على دعائم قوية ثابتة، ومنها: العدل بين الناس على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم، حيث يقرر الدين الإسلامي المساواة والعدل وتكافؤ الفرص التعليمية بين الناس فهم سواسية كأسنان المشط، لا فضل بينهم إلا بالتقوى قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13) ، فالإسلام يقر بالتساوي أمام حكم الشرع، ومع ذلك يقر بالتفاوت بين الناس بحسب طاقته وقدراته، فلكل فرد قدراته الخاصة التي يجب أخذها بالاعتبار في العملية التعليمية التعلمية.

3.2. أهداف التعليم الجامع:

حيث يهدف التعليم الجامع إلى تحقيق عدة أهداف كما أوردها كل من (وزارة التربية والتعليم في فلسطين،2015؛ الأنروا، 2013؛ اليونسكو، 2005) :

1. توسيع وتحسين الرعاية والتربية على نحو شامل في مرحلة الطفولة المبكرة، وخاصة لصالح أكثر الأطفال تأثّرًا وأشدهم حرمانًا.
2. تمكين جميع الأطفال من الحصول على تعليم أساسي إلزامي جيد ومجاني وإلزامي، مع التركيز بوجه خاص على تعليم الإناث والأطفال، الذين يعيشون في ظروف صعبة وأطفال الأقليات العرقية.
3. ضمان تلبية حاجات التعلُّم لكافة الصغار والراشدين، من خلال ملاءمة برامج التعلم وإكساب المهارات اللازمة للحياة.
4. تحقيق تحسن بنسبة 50% في مستويات محو أمية الكبار، لاسيما لصالح النساء، وتحقيق تكافؤ فرص التعليم الأساسي والتعليم المستمر لجميع الكبار.
5. تحقيق المساواة بين الجنسين في ميدان التعليم مع التركيز على تأمين فرص كاملة ومتكافئة للفتيات للانتفاع والتحصيل الدراسي في تعليم أساسي ذي جودة عالية.
6. تحسين كافة الجوانب النوعية للتعليم، وضمان الامتياز للجميع بحيث يحقق جميع الدارسين نتائجَ واضحة وملموسة في التعلُّم، ولاسيما في القراءة والكتابة والحساب والمهارات الأساسية للحياة.
7. تعزيو المساندة والدعم المقدم في المدرسة للطلبة ذوي الاحتياجات الإضافية التعليمية والصحية والنفسية.

4.2 الأسس التي تستند إليها سياسة التعليم الجامع:

هناك مجموعة من الأسس التي تستند إليها سياسة التعليم الجامع كما تشير إليها وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الأنروا (2012) وهي :

- الإيمان بقدرة كل طفل على التعلم.
- يقوم على أساس حقوق الإنسان.
- إنه عملية تحسين نظام التعليم والممارسات الصفية والمدرسية.
- تلبية احتياجات جميع الأطفال مع التركيز على أولئك الأطفال الأكثر عرضة للتهميش والإقصاء.
- تبني النموذج الاجتماعي للإعاقة.
- الإقرار بالاحتياجات الفردية وبضرورة توفير الدعم المناسب لتلبيتها.
- أن التعليم الجامع يؤدي إلى تطوير المجتمعات" الجامعة.

5.2 خصائص التعليم الجامع :

يتسم التعليم الجامع بمجموعة من الخصائص أبرزها كما يورد في الدليل التدريبي الخاص ببرنامج التعليم التابع للمجلس النرويجي (2013):-

1. تعليم يؤمن بالاختلافات بين الاطفال ويراعيها سواء كانت من ناحية العمر، الجنس، العرق، اللغة، الاعاقة.
2. تعليم يؤمن بأن جميع الأطفال باستطاعتهم أن يتعلموا.
3. تعليم يركز على نقاط القوة عند الأطفال ويعمل على تعزيزها وتقويتها.
4. تعليم يؤمن بالبحث عما يستطيع الأطفال عمله وتوظيفه لتلبية احتياجاتهم.
5. تعليم يؤمن بإشراك جميع الأطفال في العملية التعليمية التعلمية بما يخدم احتياجاتهم ويتماشى مع إمكاناتهم وقدراتهم.
6. تعليم يؤمن بالشراكة بين أولياء الأمور والمجتمع المحلي والمدرسة في العملية التعليمية التعلمية من أجل تلبية احتياجات الأطفال.
7. تعليم يؤمن بالعمل الجماعي وليس العمل الفردي من أجل توظيف كل الإمكانات المتاحة لتلبية احتياجات الأطفال كل بحسب قدراته.
8. تعليم يؤمن بالتنوع في طرق التدريس والوسائل التعليمية المتعددة القادرة على الوصول الي كل الأطفال كل بحسب احتياجه وقدراته.

6.2 الأطر القانونية الدولية المتعلقة بالتعليم الجامع.

يستند التعليم الجامع إلى العديد من الاتفاقات والمعاهدات الدولية الداعمه لتلك الفلسفة والتي وقعت عليها العديد من دول العالم كما تورد وزراة التربية والتعليم العالي الفلسطينية (2015) في سياسة التعليم الجامع : -

- اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل (1989)، والتي تنتص على الحق في الحماية من التمييز بسبب الإعاقة لأول مرة في تاريخ القانون الدولي لحقوق الإنسان .
- الإعلان العالمي لتوفير التعليم للجميع (1990)، ويسلط الضوء على الخطوات اللازمة لتوفير فرص الحصول على التعليم على قدم المساواة لكل فئة من الأفراد ذوي الإعاقة كجزء لا يتجزأ من نظام التعليم .
- قواعد الأمم المتحدة النموذجية لتحقيق تكافؤ الفرص للأشخاص ذوي الإعاقة (1993)، وضعت الخطوات اللازمة لتجسيد مبادئ الفرص التعليمية الأولية، والثانوية، والجامعية على قدم المساواة للأطفال، واليافعين والبالغين ذوي الإعاقة عملياً في أوساط تعليمية متكاملة .

- بيان وإطار عمل سالامنكا (1994)، قدم المبادئ التوجيهية التي تنص أنه ينبغي على المدارس العادية أن تستوعب جميع الأطفال، بصرف النظر عن أحوالهم البدنية أو الفكرية أو العاطفية أو الاجتماعية أو اللغوية أو غيرها من الأحوال .
- اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة (2006)، حيث إلتزمت بكفالة توفير التعليم الشامل للأشخاص ذوي الإعاقة على جميع الأصعدة.
- التعليق العام لاتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة بشأن الحق في التعليم الشامل (2016)، حيث أسهب في تفصيل التدابير التي يجب أن تتخذها الدول لضمان حصول جميع الأشخاص ذوي الإعاقة على التعليم الجيد الجامع .
- الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة: حيث تم التعهد بضمان توفير التعليم الجيد والجامع والمنصف وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة للجميع.
- ميثاق إدماج الأشخاص ذوي الإعاقة في العمل الإنساني (2016)، والذي يهدف إلى ضمان الاستجابة والخدمات الشاملة في جميع قطاعات الطوارئ مع اعتبار التعليم عنصراً انتقالياً رئيسياً.
- إطار عمل التعليم لعام 2030، حيث يجمع بين أهداف التعليم للجميع الجديدة والهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة في الالتزام بجدول أعمال تعليمي واحد متجدد لعكس اتجاه الأهداف العالمية المفقودة.

7.2 التعليم الجامع والتربية الخاصة

يرتبط التعليم الجامع بتغيير النظام التعليمي وتهيئته بشكل كامل من أجل تلبية احتياجات الطلبة، حيث تقوم فلسفة التعليم الجامع على الإيمان بقدرة جميع الطلبة دون استثناء على الاستفادة من البيئة الاجتماعية للمدارس. بينما في المقابل يفترض نموذج التربية الخاصة عدم ملائمة وجود بعض الطلبة من ذوي الاحتياجات الخاصة في المداراس، وعدم قدرتهم على التعلم مع الاخرين، كما ويفترض بأنهم بحاجة إلى معلمين مختصين وإلى خدمات خاصة. ويميل مفهوم التربية الخاصة للنظر إلى المشكلة وكأنها توجد داخل الطفل نفسه وليس داخل نظام التعليم العام. حيث ظهرت مؤخراً فلسفة الدمج أو التعليم الدامج والذي يتمثل بإدخال الأطفال المستبعدين (وهم في العادة من ذوي الإعاقات) إلى نظام التعليم العام، ولكن التعليم الدامج لا يتضمن إحداث تغييرات جوهرية في النظام التعليمي أو على أساليب التعليم والتعلم كما هو في التعليم الجامع، بل ينتظر من الطفل نفسه أن يتكيف ويتوافق مع نظام التعليم القائم دون أي تغيير يذكر في النظام (طرق التدريس، المنهاج، البيئة المدرسية ..) ، ويمكن أن يكون الطفل في موجوداً في مدرسة تطبق التعليم الدامج ولكنه سيبقى مستبعداً من المشاركة والتحصيل، إن التعليم الدامج يعتبر خطوة أولى في الطريق نحو بناء التعليم الجامع، فالتعليم الجامع يضع المشكلة في النظام نفسه، ويركز تغيير نظام التعليم بأكمله (السياسات وتخصيص الموارد، ممارسات التدريس، المناهج، طرق وأدوات التقويم، البيئة المدرسية والبنية التحتية ..) بحيث يصبح التعليم متكيفاً مع احتياجات كل متعلم وليس العكس (مهنا، 2018؛ وزارة التربية والتعليم العالي بفلسطين، 2015؛ الأونروا، 2013).

8.2 التعليم الجامع في السياق العربي

بالرغم من التطبيق الناجح لفلسفة التعليم الجامع القائمة على الحق في التعليم للجميع بالعديد من البلدان العربية الموقعة على الاتفاقيات والمعاهدات الدولية الخاصة، إلا أنه لا يزال هناك بلدان أخرى تسعى جاهدة إلى تحقيق الأهداف الخاصة بالتعليم الجامع، مما يؤكد أن التعليم الجامع عملية يمكن الوصول إليها وتحقيق أهدافها وخاصةً إذا كان هناك إيماناً بهذه الفلسفة، مع توفر الإرادة القادرة على التغيير من كافة العاملين في الحقل التربوي.

إن التعليم حق لجميع الأطفال بغض النظر عن الجنس، القدرات، الخلفية الثقافية والاجتماعية والظروف الاقتصادية والتحديات المحيطة بهم. والعديد من الأطفال في البلدان العربية يذهبون إلى المدرسة، ويُكملون دورة كاملة من التعليم الأساسي، ومع ذلك فإن هناك العديد من الأطفال في البلدان العربية لم يلتحقوا أبدًا بالمدارس أو تركوا المدرسة قبل تحقيق مستوى تعليم كفيل بمساعدتهم على النجاح في الحياة (مؤنس وجمعة، 2013).

وتعزى أسباب عدم التحاق الأطفال بالتعليم أو استكمالهم له إلى نقص الجودة في التعليم وضعف الملاءمة في المدارس، إلى جانب ضعف الاتجاهات لبعض الأشخاص في المدارس والمجتمعات المحلية، بالإضافة إلى الفقر وعدم وجود آفاق عمل وكذلك انتشار الحروب والنزاعات التي تؤثر على تقديم الخدمات التعليمية، بالإضافة إلى انتشار الفيروسات والأوبئة وجائحة كورنا-19 خير مثال. ومن أبرز الفئات الأكثر عرضة للإقصاء أو الاستبعاد من التعليم في السياق العربي: الأطفال المتضررون من النزاعات والاحتلال والحروب، الأطفال المتضررون من المخدرات، الأطفال الملتحقون بمدارس تعاني ضعفًا في البنية التحتية و/أو موارد مالية وبشرية محدودة، أطفال العائلات الكبيرة (عائلات لديها عدد كبير من الأطفال)، الأطفال من خلفيات فقيرة اقتصادياً، الأطفال الأحداث، الأطفال الذين يعيشون في المناطق المعزولة ومناطق أخرى، تُعاني قيودًا على إمكانية الوصول إلى المدارس، أطفال البدو والرعاة، أطفال الأمهات اللواتي يعانين ظروفًا اقتصادية واجتماعية صعبة، (بمن في ذلك النساء المعنفات والمطلقات والأرامل)، أطفال الآباء والأمهات الموجودين في السجون، الأطفال الذين انفصلوا عن أسرهم، بسبب بُعد المسافة إلى المدرسة أو صعوبة الوصول إليها، الأطفال الذين يعانون من سلوكات خارجة عن المألوف والإهمال وسوءَ المعاملة، الأطفال الذين يعيشون في احتكاك مباشر مع المستوطنين، الأطفال ذوو الأداء المتدني (أكاديميًّا) في المدرسة، الأطفال الذين يعانون مشاكل سلوكية، الأطفال ذوو الإعاقة وصعوبات التعلم، الأطفال الذين يعانون ظروفًا صحية مُعيقة) بما في ذلك التهاب الكبد **B** و **C**وكذلك فيروس نقص المناعة البشرية والإيدز، الأطفال الذين يعانون مشاكل نفسية- اجتماعية، الأطفال ذوو خلفيات الأقليات الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية، الفتيات اللاتي يتزوجن و/أو يُنجبن في عمر مبكر، الأيتام وأطفال المؤسسات، اللاجئون وأطفال النازحين داخلياً، أطفال الشوارع والأطفال العاملون (INEE,2009).

8.2 معيقات التعليم الجامع:

هناك العديد من المعيقات التي تواجه تطبيق فلسفة التعليم الجامع في ميدان التربية والتعليم بالعديد من الدول ومن أبرزها :

- **المعيقات المتعلقة بالمواقف:** يمكن أن تؤدي مواقف واتجاهات المعلمين وأولياء الأمور، وأعضاء المجتمع المحلي وصناع القرار في مجال التعليم، وحتى مواقف الأطفال أنفسهم إلى حرمان الأطفال من حقوقهم بالتعليم أو أن تؤدي إلى عزلهم أو إعطائهم أولوية منخفضة داخل نظام التعليم.
- **المعيقات المتعلقة بالبيئة المحيطة:** مثل المعيقات المرتبطة بالمرافق التعليمية (إمكانية الوصول إلى الفصول والحمامات)، ومعيقات في المجتمع على نطاق أوسع (على سبيل المثال: بعد المسافة إلى المدرسة وخطورتها أو عدم القدرة للوصول إلى المدرسة).
- **المعيقات المتعلقة بالسياسات:** يمكن للسياسات التي تتم صياغتها على المستوى الوطني، أو على مستوى المدرسة أن تؤثر على شمولية الأطفال في التعليم، وعلى مدى تطبيق المدرسة لمبدأ التعليم الصديق للطفل. بعض الأمثلة على ذلك: الجداول الزمنية غير المرنة، وعدم وجود تدريس المنهاج باللغة الأم، وصياغة سياسات تدريب المعلمين، بحيث يتلقى عدد قليل فقط من المعلمين المتخصصين تدريبات لرفع التوعية بالإعاقة.

- **المعيقات المتعلقة بالممارسات:** تتعلق هذه العوائق عادةً بممارسات تدريسية أو بممارسات داخل الصفوف الدراسية، أو بأي ممارسات أخرى، تكون غير مُلائمة أو غير فعالة أو تمييزية وذلك في داخل المدرسة أو حولها من قبل الأشخاص المسؤولين عن رعاية أو تعليم الأطفال.
- **المعيقات متعلقة بالموارد:** تُغطي هذه الفئة مجموعة واسعة من القضايا المتعلقة بالموارد البشرية أو المادية، ونقصانها، أو وجود موارد غير ملائمة، مثل (عدم وجود معلمين مدربين بشكل مناسب، ونقص في مواد نوعية للتعليم/ للتعلم، كذلك صفوف مدرسية كبيرة الحجم، وغير ذلك).

3. ملامح التعليم الجامع من خلال الهدي النبوي.

1.2 . التعليم الجامع النبوي:

إن الدارس لهدي الرسول – صلى الله عليه وسلم– والأساليب التربوية المتبعة من قبله وكذلك السمات الشخصية التي تمتع بها الرسول الكريم (ص) يدرك التوازن الدقيق بين معالمها ممّا لا يمكن أن يجده في أي بشر غيره، هذا التوازن الذي يعد من أبرز دلائل نبوته يتمثل في الكم الهائل من الشمائل ومحاسن الأخلاق التي تجتمع في شخصيته –صلّى الله عليه وسلّم– على نسقٍ متعادل، لا تطغى صفة على صفة، ولا توظف صفة في موقف لا تحتاجه، ولا تليق به، بل لكل مقامٍ مقالٍ، ولكل حالةٍ لبوسها، حتى لا يستطيع ذو عقل أن يقول ليت ما أمر به نهى عنه، أو ما نهى عنه أمر به، أو ليته زاد في عفوه أو نقص من عقابه، إذ كلٌ منه على أمنية أهل العقل، وفكر أهل النظر، إنه الكمال البشري الذي يقود المسلمين إلى مزيدٍ من الإعجاب والحب لرسولهم الكريم، مفاخرين الدنيا بأسرها أنهم أتباع خاتم الأنبياء والمرسلين (مؤنس وجمعة، 2013). ولقد وضّح القرآن الكريم شخصية الرسول الكريم ومن صحبه عندما قال سبحانه وتعالى في محكم التنزيل: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: 29)، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:4)، فالله سبحانه وصفه بالخلق الرفيع والعظيم ولم يصفه بالعلم الواسع، دلالةً على أهمية الأخلاق، فالعلم الذي لم يصحب بالأخلاق النبيلة فلا يعني شيئًا عند حامله، كما لا يقوده إلاّ إلى البوار والهلاك، وبيّن الله كذلك في محكم كتابه الهدف من بعثة نبيه عندما قال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة:2).

2.3 أساليب نبوية جامعة في التربية والتعليم

وتتضح ملامح التعليم الجامع من خلال أساليب نبوية جامعة في التربية والتعليم منها: –

أولاً: حضه على التعلّم والتعليم للجميع: وذلك من خلال ما يلي:

- **لفرضية التعلّم على جميع المسلمين:** لقوله –صلى الله عليه وسلم–: "طَلَبُ العلمِ فريضةٌ على كل مسلمٍ"، قال الألباني: صحيح. (ابن ماجة، محمد، سنن ابن ماجه، باب: فضل العلماء والتعلم، رقم: 220).
- **لبيان خيرية التعلم والتعليم.** كما جاء عن عثمان بن عفان عن رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– "خَيرُكم من تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ" (البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم: 4639)

- **الدعوة للاجتماع في طلب العلم وفضله** ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه– عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أنه قال: "ومَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ" (مسلم، الحجاج أبو الحسن، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم، رقم: 2699).
- **التحذير من كتمان العلم** ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "مَن سئل عن علمٍ يعلمه فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار" .حديث صحيح (ابن ماجه، باب: من سئل عن علم، الرقم: 266)
- **الاهتمام بجميع شرائح المجتمع في التعليم**. عن أبي سعيدٍ –رضي الله عنه– قال: "جَاءَتِ امْرَأَةٌ إلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ فَقالَتْ: يا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِن نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ، تُعَلِّمُنَا ممَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، قالَ: اجْتَمِعْنَ يَومَ كَذَا وَكَذَا فَاجْتَمَعْنَ، فأتَاهُنَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ فَعَلَّمَهُنَّ ممَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ قالَ: ما مِنْكُنَّ مِن امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ بيْنَ يَدَيْهَا، مِن وَلَدِهَا ثَلَاثَةً، إلَّا كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ فَقالتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ، وَاثْنَيْنِ. وفي روايةٍ: ثَلَاثَةً لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ" (البخاري، باب: تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم أمته، الرقم: 6766).
- **السعي لتحصيل العلم ولو مكانه بعيدًا**. عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– عن النبي –صلّى الله عليه وسلّم–، قال: "ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة" (مسلم، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن: الرقم: 2699)

يتبين من خلال العرض السابق للأحايث النبوية يتضح أن الرسول –صلى الله عليه وسلّم– كان يدعو الجميع إلى التعليم والتعلم بغض النظر عن الجنس أو العمر، أو المكان أو الظروف المحيطة، كما اعتبر أن التقصير في التعلم والتعليم جريمة اجتماعية، يستحق مرتكبها العقوبة الدنيوية والأخروية:، فإذا قصّر العالم في واجب التعليم، أو قصّر الجاهل في تعلّم القدر الواجب من العلم.. استحقا عقوبة التعزير. والعلم المطلوب هو كل علمٍ نافعٍ في أمور الدين والدنيا، يقصد به وجه الله، ويبني الفرد ويسمو بالمجتمع ويفيد الإنسانية، ويرقى بالأمة.

ثانياً: تعدد أماكن التعليم.

إن المتتبع لمنهج النبوة في التعليم، يجده – صلّى الله عليه وآله وسلّم– لم يتخذ مكانا معينًا لإلقاء دروسه وتوجيهاته، بل تعددت أماكن التعليم في نشره توجيهاته ودروسه التربوية، ففي بداية الدعوة اتخذ دار الأرقم بن أبي الأرقم –رضي الله عنه– حصنًا لنشر الدعوة، وقبلة للعلم، ومعقلًا للتدريب، تربى فيها خيرة صحابته، كما باشر الدعوة والتعليم في بيوت الصحابة – رضوان الله عليهم–، وكذلك المسجد عقد فيه الرسول –صلّى الله عليه وآله وسلّم– حلقات الذكر والعلم، وهو يدعوا المؤمنين اغتنام الجلوس في المساجد، لعقد حلقات القرآن الكريم، حيث يرشدهم قائلاً: "وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلونَ كتابَ الله ويتدارسونه بينهم إلا نَزَلَتْ عليهم السَّكينة وغشيتهم الرَّحمة وحفَّتهم الملائكة وذكرهم الله في من عنده..." (مسلم، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم، الرقم: 2699). ولم يكتف الرسول –صلّى الله عليه وآله وسلّم– بالأماكن السابقة، حتى في الطريق سواء كان في حضرٍ أو سفرٍ، أو راكبًا أو ماشيًا، فعن ابن عباس –رضي الله عنه– قال: كنت خلف رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– فقال: " يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظكَ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلتَ فاسأَلِ اللَّهَ ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وإن اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ" حديث حسن صحيح (الترمذي، الرقم: 2516).

ثالثاً: مراعاة المنهج النبوي في التربية والتعليم الجامع من خلال اختيار محتوىً يقوم على التدرج ومراعاة قدرات وحاجات المتعلمين.

من الرحمة التي تجلّت في خير البرية فهمه لنفسيات الناس، ومراعاة قدراتهم وطاقاتهم، والأمثلة على ذلك شاهدة على وصيته للمعلمين الذين يبعثهم لتعليم البشر مع مراعاة فروقهم الفردية، والتدرج في تلقين العلم، ذلك لأن إلقاء العلم على المتعلم جملة ودفعة واحدة يؤدي إلى ملل المتعلم، والسآمة والانقطاع عن الدروس، فعن ابن عباس –رضي الله عنهما–: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– لما بعث معاذا إلى اليمن قال له: "إنَّك تأتي قومًا أهلَ كتابٍ فادعهم إلى شهادةَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللهِ، وأني رسول الله، فإنْ هم أطاعوا لذلك، فأعلِمْهم أنَّ اللهَ افترضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في اليومِ واللَّيلةِ، فإنْ هم أطاعوا لذلك، فأعلِمْهُم أنَّ اللهَ افترضَ عليهِم صدقةً أموالهم تُؤخذُ من أغنيائهم وتَرَدُّ في فقرائِهم، فإنْ هم أطاعوا لذلك، فإياك وكرائمَ أموالِهم واتقِّ دعوةَ المظلومِ فإنها ليس بينها وبين اللهِ حجابٌ " (البخاري، باب: أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء، الرقم: 1401). فالناظر لهذا النص يجد أن الرسول –صلّى الله عليه وآله وسلّم– وجه معاذ بن جبل –رضي الله عنه– اتباع سبيل التدرج في تعليم الناس، فالبداية تعليم أساس الدّين، وهي العقيدة الصافية الصحيحة، ثم بقية الأعمال التعبديّة، وهذا الأسلوب مراعاة لقدرات المتعلمين. إذن عملية التعليم والتربية ليست عملية استعراض يستعرض فيها المربي أو المعلم معلوماته، إنما هي صياغة متكاملة تحتاج في أولها إلى الأسس والمبادئ التي تصح بها النهايات وتكتمل، وهكذا كانت طريقة الربانيين الذين امتدحهم الله فقال: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (آل عمران: 79). قال البخاري: " قال ابن عباس –رضي الله عنه–: (الرباني هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره) (البخاري، باب: العلم قبل القول والعمل،119). ومما يدخل في مراعاة حال المتعلم أو المتربي إعطاء كل مرحلة ما يناسبها من العلم والتربية فلكل مرحلة عمرية درجة من النضج، يصعب تجاوزها.

رابعاً: إشعار المتعلم بكرامته وشخصيته وأهميته بغض النظر عن مستواه الثقافي الاجتماعي، العقلي.

من أبجديات التربية والتعليم إشعار المتعلم بكرامته وشخصيته وأهميته سواء كان صغيرًا أو كبيرًا، ذكرًا أو أنثى، أسودًا أو أبيضًا، عربيًا أو أعجميًا، ذلك لأنَّ المعلم يتعامل مع نفسيات لها مشاعرها وأحاسيسها، كلٌ حسب مستواه المعرفي، وإدراكه العقلي، كما أنَّ المرء لا يتعلم إلاّ إذا أحب معلمه، وقويت علاقات المحبة التي تنمو بالاحترام المتبادل بينهما، وهذه ميزة عظيمة كان يتمتع بها رسول الله –صلّى الله عليه وآله وسلّم–.. فلم يكن أحدٌ من أصحابه يشعر بأنّ غيره أقرب إلى قلب النبي منه. وهذا الاهتمام من منظومة الرحمة التي جاء بها. كما كان يحسن الاستماع ويتواضع للسائل: والاستماع الجيّد ضرورة لاستيعاب الأمر. وعن أبي رفاعة العدوي – رضي الله عنه – قال: "انْتَهَيْتُ إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ وَهو يَخْطُبُ، قالَ: فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ، رَجُلٌ غَرِيبٌ، جَاءَ يَسْأَلُ عن دِينِهِ، لا يَدْرِي ما دِينُهُ، قالَ: فأقْبَلَ عَلَيَّ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حتَّى انْتَهَى إلَيَّ، فَأُتِيَ بكُرْسِيٍّ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا، قالَ: فَقَعَدَ عليه رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي ممَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ، فأتَمَّ آخِرَهَا"(مسلم، باب: حديث التعليم في الخطبة، الرقم: 876)... "لقد فرّغ النبي –صلّى الله عليه وآله وسلّم– نفسه لهذا السائل: فقام إليه وجلس بجانبه، واستمع منه، ثمّ أجابه. روى أنس – رضي الله عنه – قال: "كانَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ يعيدُ الكلمةَ ثلاثًا لتُعقَلَ عنْهُ"، حديث حسن صحيح غريب. (الترمذي، باب: في كلام النبي صلى الله عليه وسلم، الرقم: 3640). ومن حيث اهتمامه بأمر النساء فقد كان يترك لهن مساحة من وقته لتعليم أمور دينهن، فقد روى أبو سعيد الخدري –رضي الله عنه–: "قالتِ النِّسَاءُ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِن نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وأَمَرَهُنَّ، فَكانَ فِيما قَالَ لهنَّ: ما مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِن ولَدِهَا، إلَّا كانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ فَقالتِ امْرَأَةٌ: واثْنَتَيْنِ؟ فَقَالَ: واثْنَتَيْنِ" (البخاري، باب: هل يجعل للنساء يوما على حده، الرقم: 101)، فالرسول –صلى الله عليه وآله وسلّم– لم يستنكف عن تعليم النساء، فاحترم طلبهن ومشاعرهن وحاجاتهن.

خامساً: تعدد أساليب الرسول بما يتناسب مع نفسية المتعلم وقدراته الذهنية.

التربية الناجحة هي التي تراعي حالة المتعلم الجسمية، واستعداده النفسي والعقلي للفهم والاستيعاب والتنفيذ أثناء عملية التعليم. فمن جاء إلى نائم وألقى عليه درساً، كان عمله عابثاً. ومن أتى بطالب ناشئ في روضة الأطفال، أو المدرسة الابتدائية وألقى عليه محاضرة جامعية كان جهده ضائعاً.. وإذا وجدت إنساناً يغرق فليس من الحكمة التربوية أن تلقي عليه محاضرة في أهمية النجاة العاجلة. وكذلك إذا وجدت إنساناً محاصراً في منزل شبت فيه النار، فصياحك عليه بضرورة المحافظة على سلامته، وإعلامه بآثار الحريق الضارة لا يفيد.. ولننظر في هذا الموقف التربوي الذي سجله النبي –صلّى الله عليه وآله وسلّم– في تعامله مع الآخرين. ولننظر إلى توجيهات النبي – صلّى الله عليه وآله وسلّم– التربوية، وكيف كان يختار الأسلوب الأنسب لنفسية المتعلم.. ويختار الوقت المناسب الذي يراعي حالة المتعلم الجسمية والإدراكية والنفسية والصحية أثناء العملية التربوية. عن أنس بن مالك – رضي الله عنه– قال: " بينما نحن في المسجِدِ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. إذ جاء أعرابيٌّ فقام يبولُ في المسجد فقال أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مَهْ مَهْ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تُزرِمُوه دعوه" فتركوه حتى بال، ثمَّ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: "إنَّ هذه المساجِدَ لا تصلُحُ لشيءٍ مِن هذا البول، ولا القذَرِ، إنما هي لذكر الله عزوجل، الصلاة وقراءة القرآن" أو كما قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه. (مسلم، باب: وجوب غسل البول، الرقم: 100). نجد الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث السابق راعى نفسية المتعلم، واختار الأسلوب الأنسب له، دون إساءة أو كسر خاطر، أو غضب.

سادساً: التبسط وإزالة الحواجز:

النفوس البشرية ضعيفة تحوي في داخلها مشاعر وعواطف، يجذبها المعروف، وتحب الأنس والتواضع، وتكره التعالي والتكلف، وتأنف الجفاء والعبوس وتقطيب الجبين. والتبسط وإزالة الحواجز بين المربي والمتربي كفيل بإيجاد بيئة مطمئنة تساعد في تسارع التعليم، وتطور التربية، واتساع مساحتها بشكل واضح، والناظر في هدي النبي –صلى الله عليه وسلم– يجد ذلك واضحاً، ويرى الأثر الكبير الذي يحدثه هذا الأسلوب في النفوس. كان الرجل يأتي إلى مجلس رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لا يحجبه عنه حاجب يقول جرير بن عبد الله البجلي . رضي الله عنه .: "ما حَجَبَنِي النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ مُنْذُ أسْلَمْتُ، ولَا رَآنِي إلَّا تَبَسَّمَ في وجْهِي. ولقَدْ شَكَوْتُ إلَيْهِ إنِّي لا أثْبُتُ علَى الخَيْلِ، فَضَرَبَ بيَدِهِ في صَدْرِي، وقالَ: اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ واجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا" (البخاري، باب: من لا يثبت على الخيل، الرقم: 3035)، إنَّ الناظر في هدي النبي –صلى الله عليه وسلم– وسيرته يرى صوراً كثيرةً من تبسُّطه –صلى الله عليه وسلم– مع أصحابه مع كثرة أشغاله وجدية حياته، إنه مع ذلك يجد فرصة للمزاح معهم ومخالطتهم والدخول في أحاديثهم واستشارتهم وتسليتهم ومواساتهم، وهذا المنهج اتبعه حتى عند الأطفال الصغار، فاستقطع أوقاتًا لتعليم الأطفال وتربيتهم، ليدلل على أنه رحمة للعالمين، فلم يجعل كبر سنه، أو مشاغله بالأمة حاجزًا أن ينزل بنفسه إلى ملاطفة الصغار ومداعبتهم، فعن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: "كانَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وكانَ لي أخٌ يُقَالُ له: أبو عُمَيْرٍ –قالَ: أحْسِبُهُ– فَطِيمًا، وكانَ إذَا جَاءَ قالَ: يا أبَا عُمَيْرٍ، ما فَعَلَ النُّغَيْرُ؟ نُغَرٌ كانَ يَلْعَبُ به، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وهو في بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بالبِسَاطِ الذي تَحْتَهُ فيُكْنَسُ ويُنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ ونَقُومُ خَلْفَهُ، فيُصَلِّي بنَا"(البخاري، باب: الكنية للصبي، الرقم: 6203)، كما انتهز جلوسه معهم لتعليمهم الآداب والقيم النبيلة، وتصحيح أخطائهم، عن عمر بن أبي سلمة –رضي الله عنه– قال: " كُنْتُ في حِجْرِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ، فَقالَ لِي: يا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بيَمِينِكَ، وَكُلْ ممَّا يَلِيكَ" فما زالت تلك طعمتي بعد.(البخاري، باب: التسمية على الطعام والأكل باليمين، الرقم: 2022).

سابعاً: مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين:

لقد كان المعلم الأوّل –صلى الله عليه وآله وسلّم– شديد المراعاة للفروق الفردية والنفسية بين المتعلمين من المخاطبين والسائلين، فكان يخاطب كلّ واحد بقدر فهمه وبما يلائم منزلته وعقليته، وكان يحافظ على قلوب المبتدئين، فلا يعلّمهم ما يعلّم المنتهين. وكان يجيب كل سائل عن سؤاله بما يهمه ويناسب حاله، "ومن المبادئ الأساسية أن الناس غير متساوين وغير متجانسين في العمر والقدرة، والخلفية الثقافية، والاهتمامات، والجنس، والبيئة، والمستويات الاجتماعية والاقتصادية..." (العليمي،2001: 81). وللنظر في هذه المواقف التربوية.. وكيف كان النبي –صلى الله عليه وآله وسلّم– يوجه أصحابه كلا حسب قدرته ونفسيته. جاء رجل إلى النبي –صلى الله عليه وآله وسلّم– يستأذنه في الجهاد، فقال: "أحيٌّ والداك؟" قال: نعم، قال: "ففيهما فجاهد"(البخاري، باب: الجهاد بإذن الأبوين، الرقم: 3004)، هذا ما عُرف عن النبي –صلى الله عليه وآله وسلّم– من الحض على الجهاد والهجرة والترغيب فيهما، ولكنه –صلى الله عليه وآله وسلم– لاحظ حال هذا السائل.. فرأى بر الوالدين أهم وأفضل من حقه في الجهاد. وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: "أنّ رجلاً قال رجلٌ إلى النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّم، قال: علِّمني شيئًا ولا تُكثِرْ عليَّ لعلِّي أعيهِ، قال: لا تغضَبْ، فردَّدَ ذلِكَ مرارًا كلُّ ذلِكَ يقول: لا تغضَبْ"، حديث حسن صحيح غريب. "(الترمذي، باب: ما جاء في كثرة الغضب، الرقم: 2020). وتارة يربط الرسول –صلى الله عليه وآله وسلّم– التعليم بخبرة ومستوى المتعلم، فيقنع المتعلم بالقياس على ما اعتاده من حياته العملية وبيئته (العليمي، 2001: 83)، ومثال ذلك ما جاء عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أنه قال: "أنَّ رَجُلًا أتَى النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، وُلِدَ لي غُلَامٌ أسْوَدُ، فَقالَ: هلْ لكَ مِن إبِلٍ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: ما ألْوَانُهَا؟ قالَ: حُمْرٌ، قالَ: هلْ فِيهَا مِن أوْرَقَ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فأنَّى ذلكَ؟ قالَ: لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قالَ: فَلَعَلَّ ابْنَكَ هذا نَزَعَهُ" (البخاري، باب: إذا عرض ينفي الولد، الرقم: 4893).

3.3 . استراتيجيات نبوية تربوية جامعة لجعل بيئة التعلم صديقة وحافزة:

إن المتأمل في منهج النبي –صلى الله عليه وسلم– وسيرته يرى دلالات واضحة على التعليم الجامع الذي انتهجه –صلى الله عليه وسلم– في تعليمه للأمة وتربيته لها، وإن الإحاطة بكل ذلك قد لا يكون ممكناً ولا مناسباً في مثل هذه العجالة، ولكن يمكن الوقوف على بعض هذه الأساليب والاستراتيجيات النبوية لجعل بيئة التعلم صديقة وحافزة ومن أبرزها:

1– الحفاوة والترحيب وحسن الاستقبال:

أحياناً نتعامل مع المتعلم على أننا أصحاب منَّةٍ عليه وتفضل، ولذا نرى أنه لا حاجة إلى القيام بشيء من الترحيب والحفاوة وحسن الاستقبال، بل قد نعتبر مجرد قبولنا له كافياً في الإكرام، وربما يشعر الأب والمربي أياً كان أن الحق له؛ فهو يطالب المتربي به. والحقيقة أن للأب والمربي حقاً كبيراً، لكن هذا الحق لن يتحقق إلا حين يُعرف الولد والمتربي بذلك ويغرس في قلبه إكرام أهل الفضل من خلال أساليب تربوية مشوقة وخطوات يقوم بها الأب والمربي. ولقد كان من يقابل النبي –صلى الله عليه وسلم– ولو لأول وهلة يجد عنده من الحفاوة والترحيب وحسن الاستقبال ما يجعل النفوس تنجذب إليه وتأنس بحديثه، وهذا الاستقبال الحضاري كان له دور فاعل في دخول الناس الإسلام دون جدل أو مماطلة، فالذي يدخل دار الأرقم بن أبي الأرقم –رضي الله عنه–، ويجد تلك الأخلاقيات المثلى، يخرج منها وقد دخل في الإسلام. ومن أمثلة ذلك: روى عبدالله بن عباس –رضي الله عنهما– قائلاً: إنَّ وفْدَ عبدِ القَيْسِ أتَوُا النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ: "مَنِ الوَفْدُ أوْ مَنِ القَوْمُ قالوا: رَبِيعَةُ فَقالَ: مَرْحَبًا بالقَوْمِ أوْ بالوَفْدِ، غيرَ خَزَايَا ولَا نَدَامَى قالوا: إنَّا نَأْتِيكَ مِن شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ، وبيْنَنَا وبيْنَكَ هذا الحَيُّ مِن كُفَّارِ مُضَرَ، ولَا نَسْتَطِيعُ أنْ نَأْتِيَكَ إلَّا في شَهْرٍ حَرَامٍ، فَمُرْنَا بأَمْرٍ نُخْبِرُ به مَن وراءَنَا، نَدْخُلُ به الجَنَّةَ. فأمَرَهُمْ بأَرْبَعٍ ونَهَاهُمْ عن أرْبَعٍ: أمَرَهُمْ بالإيمَانِ باللَّهِ عزَّ وجلَّ وحْدَهُ، قالَ: هلْ تَدْرُونَ ما الإيمَانُ باللَّهِ وحْدَهُ؟ قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: شَهَادَةُ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ،

وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، وإقَامُ الصَّلَاةِ، وإيتَاءُ الزَّكَاةِ، وصَوْمُ رَمَضَانَ، وتُعْطُوا الخُمُسَ مِنَ المَغْنَمِ ونَهَاهُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ والحَنْتَمِ والمُزَفَّتِ قالَ شُعْبَةُ: رُبَّما قالَ: النَّقِيرِ ورُبَّما قالَ: المُقَيَّرِ قالَ: احْفَظُوهُ وأَخْبِرُوهُ مَن وَرَاءَكُمْ".(البخاري، باب: أداء الخمس من الإيمان، الرقم: 53)

2- الترغيب في طلب العلم.

المعلم الناجح هو من يدفع طلابه إلى تلقي العلم وتحصيله من خلال بيان فضله وأهميته ومكاسبه، وهذا ما كان عليه المربي والمعلم الأول خير البشر -صلى الله عليه وآله وسلم-، فكان يرغب صحابته في طلب العلم ويبين لهم الأجر الدنيوي والأخروي لمن سلكه إن أخلص نواياه لله رب العالمين. روى أبو هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلّم- أنه قال: "... وَمَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ له به طَرِيقًا إلى الجَنَّةِ، وَما اجْتَمع قَوْمٌ في بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بيْنَهُمْ، إلَّا نَزَلَتْ عليهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَن عِنْدَهُ..." (مسلم، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم، الرقم: 2699)

3- الدعابة والمزاح عند المتعلم.

المتتبع لأحوال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- يجده لا ينسلخ من بشريته، فمجالسته لأصحابه تارة يسودها الدعابة والمرح المحمود، مراعاة للعواطف والمشاعر والأحاسيس الذي يحملها كل متعلم من صحابته الكرام. يروي أبو هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنه: "قالوا"، أي: بعضُ الصَّحابةِ: "يا رسولَ اللهِ، إنَّك تُداعِبُنا!"، أي: تُمازِحُنا، فردَّ عليهم النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم، فأوضَح لهم، قال: "إنِّي لا أقولُ إلَّا حقًّا". حديث حسن، صححه الألباني (الترمذي، باب: ما جاء في المزاح، الرقم: 1990). ومن دعابته -صلّى الله عليه وسلّم- ما يرويه أنس بن مالك -رضي الله عنه-: " أنَّ رجلًا استحمل رسولَ اللهِ – صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ –، فقال : إني حاملُكَ على ولدِ ناقةٍ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أصنع بولدِ الناقةِ ؟ ! "وهل تلد الإبلُ إلا النوقَ؟!" حديث صحيح غريب. (الترمذي، باب: ما جاء في المزاح، الرقم: 1991).

4- الدعاء للمتعلم.

المتعلم بحاجة إلى الدعاء من قبل معلمه، يدعو له بالثبات والتوفيق والسداد في طلب العلم وتحصيله، وهذا ما كان عليه قدوة المعلمين -صلى الله عليه وسلم-، كما يروي ذلك عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- قائلاً: "أنّ النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ دخل الخلاء، فوضعت له وضوءً، قال: مَن وَضَعَ هذا؟ فأخبر. فقال: اللَّهمَّ فَقِّهْهُ في الدِّينِ". (البخاري، باب: وضع الماء عند الخلاء، الرقم: 143).

5- الرفق والرحمة وحسن التأني بالمتعلم:

من الصفات الجليلة التي لا بد أن يتصف بها المعلم، الرحمة، فالمولى -عزوجل- حث نبيه بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159]. أمر الله سبحانه نبيه في القرآن الكريم اتباع منهج الرفق واللين، فتخلق به -صلّى الله عليه وآله وسلّم- إلى أن رحل من هذه الدنيا الفانية إلى دار البقاء. تروي السيدة عائشة -رضي الله عنها- قائلة: "اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ علَى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقالوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ واللَّعْنَةُ، فقالَ: يا عائِشَةُ، إنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ في الأمْرِ كُلِّهِ قُلتُ: أوَلَمْ تَسْمَعْ ما قالُوا؟ قالَ: قُلتُ: وعلَيْكُم". (البخاري، باب: إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم، الرقم: 6927). وفي حديث جرير بن عبد الله عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «مَن حُرِمَ الرِّفْقَ، حُرِمَ الخَيْرَ، أوْ مَن يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الخَيْرَ» (مسلم، باب: فضل الرفق: الرقم: 4696) وعَنْ مَالِكِ بنِ الحُوَيْرِثِ، قالَ: أَتَيْنَا رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فأقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ رَحِيمًا رَقِيقًا، فَظَنَّ أنَّا قَدِ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، فَسَأَلَنَا عن مَن تَرَكْنَا مِن أَهْلِنَا، فأخْبَرْنَاهُ، فَقالَ:" ارْجِعُوا إلى أَهْلِيكُمْ، فأقِيمُوا فيهم وَعَلِّمُوهُمْ، وَمُرُوهُمْ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ

أَكْبَرُكُمْ.» (مسلم، باب: من أحق بالإمامة، الرقم: 674). الحديث. يظهر اهمية التعليم للجميع كما يبين إن هذه الرحمة من النبي –صلى الله عليه وسلم– بهؤلاء الشباب فيها التوجيه إلى ضرورة مراعاة طبائع النفوس، الشيء الذي قد يغفل عنه بعض المربين بحجة الجدية والحزم فربما كلفوا النفوس ما لا تطيق، وحَمَلوها على ما يسبب لها الانقطاع.

6– نداء المتعلم بألفاظ محببة للنفس.

الرسول عليه الصلاة والسلام كان ينوع أساليب النداء للمتعلم تقديرًا لمشاعره، وتحفيزًا للتعلم، وتعويدًا لألفاظ المحمودة، وترك المذمومة، ومن ألفاظ مناداة المتعلم عند رسول الله –صلى الله عليه وسلّم–: (ياغلام، يابني، ياغليم،...)، وشواهد ذلك كثيرة، منها: رواية عبدالله بن عباس –رضي الله عنهما– عن رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– قائلاً له: "يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظكَ ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ ، إذا سألتَ فاسألِ اللَّهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ، وإن اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ" حديث حسن صحيح. (الترمذي، الرقم: 2516) .

7– الثناء والتشجيع:

الثناء والتشجيع وتسليط الضوء على مكامن الكمال في النفس البشرية والإشادة بها منهج نبوي كريم، يراد منه بعث النفس على الزيادة، وإثارة النفوس الأخرى نحو الإبداع والمنافسة، وهو مشروط بأن يكون حقاً، وأن يُؤمَن جانب الممدوح، وأن يكون بالقدر الذي يحقق الهدف مثل: أحسنت، نعم الرجل، بارك الله فيك، وغيرها من الألفاظ المشجعة، ومثال ذلك: عن علقمة بن قيس –رضي الله عنه– قال: كنَّا بِحِمْصَ، فَقَرَأَ ابنُ مَسْعُودٍ سُورَةَ يُوسُفَ، فَقالَ رَجُلٌ: ما هَكَذَا أُنْزِلَتْ، قالَ: قَرَأْتُ علَى رَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم! فَقالَ: أحْسَنْتَ. ووَجَدَ منه رِيحَ الخَمْرِ، فَقالَ: أتَجْمَعُ أنْ تُكَذِّبَ بكِتَابِ اللَّهِ وتَشْرَبَ الخَمْرَ؟! فَضَرَبَهُ الحد" (البخاري، باب: القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلّم، الرقم: 5001). عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلّى الله عليه وسلم–: " نِعْم الرَّجُلُ أبو بكرٍ نِعْم الرَّجُلُ عُمَرُ نِعْم الرَّجُلُ أبو عُبَيدةَ بنُ الجرَّاحِ نِعْم الرَّجُلُ أُسَيدُ بنُ حُضَيرٍ نِعْم الرَّجُلُ ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ نِعْم الرَّجُلُ معاذُ بنُ عمرِو بنِ الجَموحِ". حديث حسن (الترمذي، باب: مناقب معاذ بن جبل، الرقم: 3728).

الناظر إلى الأحاديث السابقة يرى مدى اهتمام النبي –صلى الله عليه وسلم– بتشجيع واستثارة دافعية المتعلم، وكذلك كم يبعث التشجيع في نفس المتعلم من حب للعلم، وكم يساعد في تسارع خطوات التربية نحو الأمام، وذلك على عكس ما يأتي به كثرة التأنيب والعتاب واللوم، أو السكوت عن الثناء عند كل نجاح وتفوق.

8– التدرج ومراعاة الحال:

حين نرجع إلى المعنى اللغوي للتربية نجد أن من معانيها النمو والزيادة، ومنه أيضاً التدرج (فالتربية جهود تراكمية، يرفد بعضها، بعضاً والزمن واضح في قولهم: تربى، وتنشأ، وتثقف؛ فالتنشئة والتغذية والتثقيف لا تكون أبداً طفرة ومرة واحدة، وإنما تتم على مراحل متتالية...)؛ وذلك لأن (للجوانب التي تتطلب التربية والإصلاح في النفس البشرية من الاتساع والتعدد والتنوع ما يجعلها في وقتٍ وجهدٍ أمراً عسيراً ومتعذراً. ثم إن المتربين والمتعلمين ليسوا على درجة واحدة من الفهم والإدراك، ولا على درجة واحدة في الحرص والرغبة. وقد كان التشريع الذي نزل من عند الحكيم الخبير، يرعى التدرج وتمرين الناس على قبول الشرائع وترويضهم عليها؛ حيث خوطب الناس ابتداءً بالأهم فالأهم، فكان التأكيد أولاً على تحقيق التوحيد، حتى إذا استقرت نفوسهم أمروا بالفرائض ثم سائر الشرائع والأحكام. تقول عائشة –رضي الله عنها–: « إنَّما نَزَلَ أوَّلَ ما نَزَلَ منه سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ والنَّارِ، حتَّى إذَا ثَابَ النَّاسُ إلى الإسْلَامِ نَزَلَ الحَلَالُ والحَرَامُ، ولو نَزَلَ أوَّلَ شَيءٍ: لا تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقالوا: لا نَدَعُ الخَمْرَ أبَدًا، ولو نَزَلَ: لا تَزْنُوا، لَقالوا: لا نَدَعُ الزِّنَا أبَدًا، لقَدْ نَزَلَ بمَكَّةَ علَى مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وإنِّي

لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} [القمر: 46]، وما نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ والنِّسَاءِ إِلَّا وأَنَا عِنْدَهُ..» (البخاري، باب: تأليف القرآن الكريم، الرقم: 4993). يا نَبِيَّ اللهِ، أيُّ الأعْمالِ أقْرَبُ إلى الجَنَّةِ؟ قالَ: "الصَّلاةُ علَى مَواقِيتِها قُلتُ: وماذا يا نَبِيَّ اللهِ؟ قالَ: برُّ الوالِدَيْنِ. قُلتُ: وماذا يا نَبِيَّ اللهِ؟ قالَ: الجِهادُ في سَبيلِ اللَّهِ"(مسلم، باب: بيان كون الإيمان بالله، الرقم: 85)

9- تبسيط الرسول للمعلومات والاستفادة من المواقف:

إن أي حادث يجري فإنه يمكن أن يفاد منه في التربية (والمربي البارع لا يترك الأحداث تذهب سُدى بغير عبرة وبغير توجيه. وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها. ومزية الأحداث على غيرها من وسائل التربية أنها تُحدِث في النفس حاله خاصة هي أقرب للانصهار. إن الحادثة تثير النفس بكاملها، وترسل منها قدراً من حرارة التفاعل والانفعال يكفي لصهرها أحياناً، أو الوصول بها إلى قرب الانصهار... والمثل يقول: اضرب والحديد ساخن؛ لأن الضرب حينئذ يسهِّل الطرق والتشكيل). عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-أنه قال: "قَدِمَ علَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ بسَبْيٍ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ، تَبْتَغِي، إذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا في السَّبْيِ، أَخَذَتْهُ فألْصَقَتْهُ ببَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: أَتَرَوْنَ هذِه المَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا في النَّارِ؟ قُلْنَا: لَا، وَاللَّهِ وَهي تَقْدِرُ علَى أَنْ لا تَطْرَحَهُ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: لَلَّهُ أَرْحَمُ بعِبَادِهِ مِن هذِه بوَلَدِهَا.» (مسلم، باب: في سعة رحمة الله، الرقم: 2754)، وعن البراء بن عازب -رضي الله عنه- قال: «أُهديَتْ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ حُلَّةُ حَرير، فجَعَلَ أصحابُه يَمَسُّونَها ويَعجَبونَ مِن لِينِها، فقال: تَعجَبونَ مِن لِينِ هذه؟! لَمَناديلُ سعدِ بنِ مُعاذٍ في الجنَّةِ خيرٌ منها أو أليَنُ» (مسلم، باب: من فضائل سعد بن معاذ -رضي الله عنه-، الرقم: 4514).

10- المناقشة والحوار والإقناع والاستدلال بالأمثلة من واقع المتعلم:

الأصل أن يربى الناس على التسليم للأوامر بالفعل وللنواهي بالترك، لكن بعض النفوس أحياناً قد تكون شاردة تعيش حالة من التصميم حتى ولو كانت على خطأ، ولا يوقظ هذه النفوس إلا شيء من الإقناع، بردِّها للجادة، وتأكيد معاني الخير فيها، واتبع الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- عدة طرق، منها: طريق الحوار والمناقشة، "وذلك بإلقاء السؤال عليهم، لكي يلفت نظرهم، ويثير انتباههم للموضوع الذي يريد غرسه في نفوسهم، ثم ينتظر منهم الإجابة، فإن أجابوا، وإلا فإنه يجيب الإجابة الصحيحة" (القرشي، 1435هـ، 346)، ومثال ذلك الحوار الذي دار بين رسول الله ومعاذ بن جبل -رضي الله عنه-، يقول معاذ: أَنَا رَدِيفُ النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ: "يا مُعَاذُ قُلتُ: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ، ثُمَّ قالَ مِثْلَهُ ثَلَاثًا: هلْ تَدْرِي ما حَقُّ اللَّهِ علَى العِبَادِ قُلتُ: لَا، قالَ: حَقُّ اللَّهِ علَى العِبَادِ أنْ يَعْبُدُوهُ ولَا يُشْرِكُوا به شيئًا ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، فَقالَ: يا مُعَاذُ قُلتُ: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ، قالَ: هلْ تَدْرِي ما حَقُّ العِبَادِ علَى اللَّهِ إذَا فَعَلُوا ذلكَ: أنْ لا يُعَذِّبَهُمْ" (البخاري، باب: إرداف الرجل خلف، الرقم: 5510) ، وكذلك ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- سائلاً أصحابه: "أتدرونَ مَن المفلِسُ ؟ قالوا : المفلِسُ فينا يا رسولَ اللهِ مَن لا درهَمَ له ولا متاعَ له فقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : (المفلِسُ مِن أُمَّتي يأتي يومَ القيامةِ بصلاتِه وصيامِه وزكاتِه فيأتي وقد شتَم هذا وأكَل مالَ هذا وسفَك دمَ هذا وضرَب هذا فيقعُدُ فيُعطَى هذا مِن حسَناتِه وهذا مِن حسَناتِه فإنْ فنِيَتْ حسَناتُه قبْلَ أنْ يُعطيَ ما عليه أُخِذ مِن خَطاياهم فطُرِح عليه ثمَّ طُرِح في النَّارِ) (مسلم، باب: تحريم الظلم، الرقم: 4678)، وهنا درس لكل متعلمٍ أيٍ كان موقعه ومكانه، فلا بد من حفظ لسانه وصونه عن عباد الله.

11- التعلم بضرب الأمثال.

استخدام الرسول -صلّى الله عليه وآله وسلّم- لضرب الأمثال للمتعلمين، لأجل إيصال وتقريب الفكرة، وإيضاح المعاني، وغرس القيم الحميدة، ومثال ذلك: عن أَبي موسى الأَشعَرِيِّ -رضي الله عنه-: (أَن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: إِنَّما مثَلُ الجلِيس الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السُّوءِ: كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ ريحًا طيِّبةً، ونَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَن يَحْرِقَ ثِيابَكَ، وإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خبيثة) (مسلم، باب: استحباب مجالسة الصالحين، الرقم: 2628)، وروت السيدة عائشة -رضي الله عنها- قائلة: "دخلَ

عليَّ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ هَل عندَكُم شَيءٌ فَنقولُ لا فيقولُ إنِّي صائمٌ فيُقيمُ علَى صَومِهِ ثمَّ يُهدَى لَنا شيءٌ فيُفطِرُ قالَت وربَّما صامَ وأفطرَ قُلتُ كيفَ ذا قالَت إنَّما مَثلُ هذا مَثلُ الَّذي يخرجُ بصدَقةٍ فيعطي بَعضًا ويمسِكُ بعضًا" حديث صحيح، وإسناده حسن. (ابن ماجه، باب: ما جاء في فرض الصوم من الليل، الرقم: 1701). فضرب الأمثال أثناء العملية التعليمية تزيد من انتباه الطالب نحو ما يقوله المعلم.

12- استخدام الوسائل التعليمية.

المتتبع لهدي النبوة في التعليم يجد الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- غرس الكثير من المفاهيم والأفكار عن طريق الربط بالوسائل التعليمية، وشاهد ذلك: ما جاء عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- "المؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بيْنَ أَصَابِعِهِ"(البخاري، باب: تعاون المؤمنين بعضهم بعضا، الرقم: 5567).

4. خاتمة :

في ضوء ما تقدم يتبين بأن هدي الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- وأساليبه المتبعة كانت جامعة وشاملة لجميع نواحي الحياة التربوية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بعيدة كل البعد عن الاقصاء والتهميش لأي فرد من أفراد المجتمع. كما اهتم الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- بالتعليم للجميع بغض النظر عن الجنس، أو اللون، أو القدرات، أو الظروف أو الخلفية التي ينتمي إليها الأفراد. واستخدم الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- استراتيجيات وأساليب تربوية تتماشي مع التنوع الموجود في المجتمع، لابد من الاقتداء بها والسير على نهجها في المدارس.

ومن أبرز المقترحات والتوصيات ما يلي:

1. العمل على تدريب المعلمين على نهج وفلسفة التعليم الجامع، وتزويدهم بالمهارات والاستراتيجيات المناسبة لتعليم الفئات المتنوعة والمختلفة من الطلبة والتي تلبي احتياجاتهم.

2. مساهمة الجامعات في نشر فلسفة التعليم الجامع وتمكين طلبة كليات التربية بالمهارات اللازمة التي تساعد في تحقيق التعليم الجامع.

3. تشجيع الجامعات ووزارت التربية والتعليم في العالم الإسلامي من أجل إجراء البحوث العلمية الخاصة بعمليتي التعليم والتعلم والمرتبطة بالتعليم الجامع.

4. مراعاة صناع القرار والقائمين على بناء المناهج التعليمية في الدول العربية والإسلامية التنوع والاختلاف لدى الطلبة والاستفادة من منهج الرسول -صلى الله عليه وسلم- التربوي الجامع عند اختيار المحتوى والأساليب والاستراتيجيات وطرق التقويم، وكذلك تهيئة المدارس لتكون قادرة على استيعاب جميع الطلبة وتلبي احتياجاتهم المختلفة.

5. قائمة المراجع:

- القرآن الكريم
- ابن ماجة، محمد بن زيد (2009). *سنن ابن ماجه*، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة العالمية، القاهرة.
- أبوداود، سليمان بن الأشعث (ب.ت)، *سنن أبي داود*، تحقيق: محمد محي الدين، المكتبة العصرية، بيروت.
- أبورزق، محمد (2011). السمات الشخصية المميزة لذوي صعوبات التعلم وعلاقتها بالانتباه وبعض المتغيرات، *رسالة ماجستير غير منشورة*، الجامعة الإسلامية ، غزة: فلسطين.
- أوبرتي، ريناتو (2004). التعليم الجامع، *المؤتمر الدولي الثامن والأربعون للتعليم* " التعليم الجامع طريق المستقبل، دبي، 27-28 سبتمبر،2004م.

- البخاري، محمد بن إسماعيل (1422هـ). *صحيح البخاري*، تحقيق: محمد بن زهير، ط1، دار طوق النجاة، الرياض
- البزار، أبو بكر لحمد بن عمر بن عبد الخالق(ب.ت). *مسند البزار والبحر الزخار*، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.
- البوطي، محمد سعيد (2003). *فقه السيرة*، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.
- البيهقي، أحمد بن الحسين (2003). *شعب الإيمان*، تحقيق: عبد العلي عبدالحميد، ط1 مكتبة الرشد، الرياض.
- الترمذي، محمد بن عيسى(1395هـ،1975م). *سنن الترمذي*، تحقيق: إبراهيم عطوة، ط2 مكتبة مصطفى الحلبي،مصر.
- جامعة القدس المفتوحة (2010). *فقه السيرة*، منشورات جامعة القدس المفتوحة، فلسطين.
- الدارمي، محمد بن حبان (1993). *صحيح ابن حبان*، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط1 مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الدرر السنية (2021). https://www.dorar.net/search
- العليمي، أحمد محمد (2001). *طرائق النبي صلّى الله عليه وسلم في تعليم أصحابه رضوان الله عليهم*، ط1، دار ابن حزم، بيروت.
- القرشي، خالد بن عبدالله (1435هـ) ، *تربية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضوان الله عليهم*، ط1، مكتبة دار المناهج، الرياض.
- المجلس النرويجي للاجئين1 (2013). *إرشادات للمدربين ومديري المدارس والمعلمين حول أنشطة زيادة الوعي حول التعليم الجامع وتخطيط وتنفيذ أنشطة للمجتمع المحلي في المدارس*، غزة، فلسطين.
- المجلس النرويجي للاجئين2 (2013). *دليل تدريب المدربين حول التعليم الجامع والصديق للطفل*، غزة، فلسطين.
- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة/ اليونسكو (2005). *مبادئ توجيهية بشأن التعليم الجامع*، باريس: اليونسكو. http://unesdoc.unesco.org/images/0017/001778/177849a.pdf
- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة/ اليونسكو (2008). *التعليم للجميع بحلول 2015: هل سنحقق الهدف*، باريس: اليونسكو.
- مؤنس، خالد و جمعة، أمجد (2013). ملامح التعليم الجامع والصديق في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم. *ورقة عمل مقدمة لليوم الدراسي التأصيل الإسلامي في علم النفس*: قسم علم النفس بكلية التربية في الجامعة الإسلامية وقسم علم النفس بكلية التربية في جامعة الأقصى، 26 نوفمبر، غزة: فلسطين.
- النسائي، أحمد بن شعيب (1991). *سنن النسائي الكبرى*، تحقيق: عبدالغفار سليمان وآخرون، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- النسيابوري، مسلم بن الحجاج (ب ت). *صحيح مسلم*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د،ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- وزارة التربية والتعليم العالي (2015). *سياسة التعليم الجامع في فلسطين*، فلسطين.
- وكالة الأمم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدني (2013). *ملخص سياسة التعليم الجامع*، غزة، فلسطين http://www.unrwa.org/sites/default/files/201305293403_0.pdf
- وكالة الأمم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (2014). *سياسة التعليم الجامع*. الأردن:دائرة التربية والتعليم الرئاسة العامة – الأنروا.
- وكالة الأمم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرف الأدني (2012). *حقائق حول التعليم الجامع*، غزة، فلسطين. http://www.unrwa.org/sites/default/files/2013052844335_0.pdf
- Inter-Agency Network for Education in Emergencies- INEE (2009). *INEE Pocket Guide to Inclusive Education* . Published by: UNHCR, Geneva: Switzerland.